تعزيز القرآن لقيم الإخاء الإنساني في التعامل مع المجتمعات غير المسلمة

إعداد

د. فخرية بنت محمد إسماعيل خوج

الأستاذ المشارك في التربية الإسلامية والمقارنة

كلية التربية بمكة- جامعة أم القرى

الملخص بالعربية

وضع القرآن الكريم جملة من القيم، التي لا غنى للمجتمع بدونها، وتعد معايير للحكم على السلوك، فبدون هذه القيم يقف المجتمع بلا تقدم وهي قِيَمٌ تدفع إلى سلامة الفرد ووحدة الجماعة وتماسكها، بما تبثه من تعاون، وتلقيه من محبة ومودة تُذكي روح الأخوة والمساواة، وتقضي على الحقد والكراهية، وتذهب بالغضب والحسد والأنانية أدارج الرياح.

ومن هذا المنطلق يسعى البحث الحالي استخلاص نماذج قيم الإخاء ومحبة الآخر في النص القرآني وإلقاء الضوء عليها، كما يلقي الضوء على دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني وما يتعلق بدعوة الشعوب إلى التقارب والتعاون واعتبار البشرية كلها أسرة واحدة، مع التأكيد على أن الحكم بين المختلفين سيكون يوم القيامة، وكنماذج لقيم التسامح القرآني مع الآخر تكريم الإنسان للإنسانية، وكذلك الدعوة إلى الحوار بالتي هي أحسن.

وقد توصل البحث لعدد من النتائج كان أهمها: أن روح التسامح تعد أمراً أصيلاً عند المسلمين حيث حث عليها النص القرآني بشكل دائم، أيضاً توصل البحث إلى أن العداوات بين الناس ليست أمرا دائما وأنها قابلة للتغير من العداوة إلى المودة.

وقد خلص البحث إلى عدد من التوصيات كان أهمها: ضرورة تفعيل توجيهات النص القرآني فيما يخص قيم الإخاء وما يخص علاقة المجتمع الإسلامي بالمجتمعات الأخرى، وبخاصة المجتمعات غير المسلمة.

Summary

The Holy Qur'an set a set of values, which are indispensable for the society. They are considered as standards to judge behavior. Without these values, society stands with no progress.

These values push for individual safety, group coherence and unity, by means of the spirit of brotherhood and equality, which eliminate malice and hatred, and wipe out anger, envy and selfishness.

From this standpoint, the current research seeks to extract examples of the values of brotherhood and love for others in the Qur'an text and shed light on them. It also sheds light on the indications of societal tolerance in the Qur'an text and what is related to the call of peoples to rapprochement and cooperation and considering the whole of humanity as one family, with the assertion that the judgment between people in dispute will be On the Day of Resurrection. As examples of the values of Quranic tolerance with the other, honoring man for his humanity, as well as calling for dialogue in a peaceful way.

The research has reached a number of results, of which the most important are: The spirit of forgiveness is inherent to Muslims, as the Quranic text emphasizes it all the time. The research also concluded that enmity between people is not permanent and that it is subject to change from hostility to affection.

In addition, it also concluded to a number of recommendations: The necessity of activating the directions of the Qur'an text with regard to the values of brotherhood and regarding the relationship of the Islamic community with other societies, especially non-Muslim societies.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله خير البرية وهادي البشرية الرحمة المهداة والسراج المنير، الداعي إلي الخير بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبعد؛ فجدير بنا أن نتجه إلى المدرسة القرآنية كي نستوضح جانب قيم الإخاء الإنساني التي يذخر بها النص القرآني نظراً لحاجة المجتمع المسلم المعاصر لهذه القيم. فالقيم هي نماذج سلوكية تحتاجها الشخصية المسلمة كي تقتدي بها في مواقف الحياة، وهي معايير للحكم على مدي صلاح المواقف والتصرفات الإنسانية.

كما أن المجتمع المسلم يحتاج إلى إعادة صياغة منظومة التعامل مع المجتمعات الأخرى وفقاً للمنهج الإلهي عبر ما تحمله آيات الله من دلائل توضح الموقف الصحيح للمجتمع المسلم مع تلك المجتمعات وتحدد كيفية التعامل معها وفقاً لمنهج ديننا الحنيف دين الرحمة والتسامح.

وجدير بالذكر أن تماسك المجتمع كوحدة واحدة للوقوف على تلك الدلالات في النص القرآني ينبئ عن حاجة الفرد داخل المجتمع في الوقوف أيضاً على دلائل التعامل مع الآخر من غير المسلمين، وهي الدلائل التي تزخر بها مواطن جمة في كتاب الله تحدد النظرة العامة للإنسان واحترام القرآن له ولإنسانيته وأن يكون التعامل انطلاقاً من خصائص تلك الإنسانية الممثلة في كون الإنسان كائن مكرم من قبل خالقه.

ونظراً لظهور العديد من المفاهيم الخاطئة والمختلطة عن التعامل مع المجتمعات غير المسلمة، وكذلك التعامل مع الآخر من غير المسلمين تم صياغتها من خلال لغة خطاب بعيدة كل البعد عن مبدأ التسامح الذي أكده النص القرآني في التعامل مع الآخر، فقد دعت الحاجة لإعداد البحث الحالي وذلك لإلقاء الضوء على جانب قيم الإخاء الإنساني في القران الكريم، وإبراز جانب

من دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني، وكذلك دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر.

إشكالية البحث:

تتحدد الإشكالية في البحث الحالي من قراءة وضعية غير المسلمين في المجتمعات المسلمة، سواء في داخلها، أو خارجها، حيث يتعرض البعض منهم لمظاهر الكراهية، والتعصب، والنبذ، والاستبعاد (شريعتي. روح الله، ٢٠١٧، ١١).[١]

وتسوق العديد من الدراسات، التي عنيت بدراسة علاقة المجتمعات المسلمة بغير المسلمين، وصورا من التعاملات المناقضة لقيم الإخاء والعدل والقسط والوسطية التي أقرها الإسلام في التعامل مع غير المسلمين[٢]، ومن هنا بات من الضروري تجلية وتوضيح هذه القيم سواء لدى المسلمين، أو لدى غير المسلمين.

وعلى هذا تجيئ الدراسة الراهنة لتجلية وتوضيح قيم الإخاء الإنساني في القرآن الكريم، وبيان أهميتها في السياق المعاصر، وضرورة تربية الأفراد على فهمها وممارستها.

تساؤلات البحث:

لتحقيق أهداف الدراسة، فإنها تسعي إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما نماذج قيم الإخاء الإنساني في النص القرآني؟

٢- ما دلائل التسامح في النص القرآني؟

(١) شريعتي. روح الله، (٢٠١٧م)، فقه التعايش مع غير المسلمين، حقوقهم وواجباتهم، فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ص١١.

(٢) سالم. البهنساوي، (٢٠١٢م)، قواعد التكامل مع غير المسلمين، دار الوفاء، مصر، المنصورة، ص١٣.

٣- ما دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى توضيح القيم الاجتماعية من القرآن الكريم، وذلك من خلال:

١ - التعرف على نماذج قيم الإخاء الإنساني في النص القرآني.

٢- التعرف على دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني.

٣- التعرف على دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر.

أهمية البحث:

ترجع أهمية هذا البحث إلى أنه يدرس موضوعاً ذو أهمية كبيرة لدي الباحثين ولدي المجتمع وهو موضوع القيم التربوية من القرآن الكريم، حيث تتلخص أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

١) يقدم البحث إطاراً نظريا ونماذج من القيم التربوية من القرآن الكريم، وكذلك يلقي الضوء على دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني، علاوة على دلائل التسامح مع الآخر من غير المسلمين.

٢) يوضح البحث الحالي جانب من الصورة الصحيحة لمفهوم التسامح في النص القرآني لتصويب ذلك المفهوم لدى بعض المسلمين لمن هم على غير دين الإسلام.

حدود البحث:

يتحدد بحث موضوع الدراسة "تعزيز القرآن لقيم الإخاء الإنساني في التعامل مع المجتمعات غير المسلمة"، وتحقيق ذلك من خلال الآيات الكريمات المتضمنة لقيم الإخاء الإنساني، وتطبيقاتها لدى المسلمين في مجتمعاتهم، وفي علاقاتهم ومعاملاتهم مع غير المسلمين، ومع المجتمعات غير المسلمة في السياق الحضاري المعاصر.

مصطلحات البحث:

القيم الاجتماعية:

عرفت القيمة لغة بأنها "واحدة القيم، وقوم السلعة تقويماً وأهل مكة يقولون استقام السلعة وهما بمعني واحد، والاستقامة الاعتدال يقال استقام له الأمر."[٣]

كما عرفت بأن "القيمة بالكسر واحدة القيم، وما له قيمة: إذا لم يدم على شيء وقوم السلعة واستقامته: ثمنته، واستقام: اعتدل، وعدلته فهو قويم ومستقيم".[٤]

تعريف القيم اصطلاحاً:

عرفت القيم الاجتماعية اصطلاحاً بأنها: مجموعة من المعتقدات، والتصورات المعرفية والوجدانية، والسلوكية الراسخة يختارها الإنسان بحرية بعد تفكر وتأمل، ويعتقد بها اعتقاداً جازماً، تشكل لديه منظومه من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو القبح، وبالقبول أو الرد، ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز.[٥].

كما عرفت القيم اصطلاحاً بأنها: "مجموعة من الأنظمة الضابطة لتصرفات الأفراد والمثل العليا الموجهة لسلوكهم وفق نبع العقيدة الصافية وذلك من خلال تعاليم الدين الحنيف وتوصيات الإسلام العظيم".[٦] .

(٣) الرازى، زين الدين، (١٩٨٦م)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون، ص.٥٥٨.

(٤) آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز، (١٩٧٧م)، المعجم الوسيط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ص١٦٥.

(٥) الجلاد، ماجد، (٢٠٠٧م)، تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة للطبع والنشر، عمان، ص١٢.

(٦) طباسي، طلال، إثراء كتاب المطالعة والنصوص للصف التاسع الأساسي بفلسطين بالقيم الدينية الواردة في سورة يوسف عليه السلام، رسالة ماجستير، الجامع الإسلامية، غزة، ٢٠٠٦م. ص١١.

كما تعرف الباحثة القيم الاجتماعية في البحث الحالي إجرائيا: "بأنها مجموعة القيم المستمدة من القرآن الكريم والداعية إلى التسامح والتعاون بين الشعوب وكذلك بين أفراد المجتمع من المسلمين وغير المسلمين".

القرآن الكريم:

يعرف القرآن الكريم اصطلاحا بأنه: "كلام الله المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه ومعناه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الحمد إلى آخر سورة الناس."(٧)

منهج البحث

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي الاستنباطي، ويشمل ذلك المنهج "كل عمل يهدف إلى وضع نظرية علمية، أو بناء قاعدة في الفقه أو الأصول أو التفسير، أو غيره من العلوم الشرعية، أو أي مبحث من مباحثها، ويمكن التمثيل لهذا المنهج، بما قام به الإمام الشاطبي ، من إعادة بناء لعلم أصول الفقه ، على أساس نظرية المقاصد."(٨)

إجراءات البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث سيتم إتباع الإجراءات الآتية:

١- استخلاص نماذج من قيم الإخاء الإنساني في القرآن الكريم، ومعرفة معانيها ودلالتها ومقاصدها وذلك من الكتابات الفقهية، وكتابات وأعمال المفكرين المسلمين.

(٧) الزرقاني، محمد عبد العظيم، (١٩٩٦م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر -بيروت الطبعة الأولى، ج١، ص١٨.

(٨) الأنصاري، فريد، أبجدية البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٩٧م، ص ٩٦.

٢- إلقاء الضوء على دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني من خلال استعراض الآيات وتوضيح مقاصدها.

٣- إلقاء الضوء على دلائل التسامح القرآني مع الآخر من خلال استعراض الآيات وتوضيح مقاصدها.

الجانب النظري:

١) نماذج القيم الاجتماعية في النص القرآني:

حدد القرآن قيم الإخاء في المجتمع المسلم من خلال عدد من الممارسات التي يقوم بها أفراد ذلك المجتمع والتي تعد انعكاساً مباشراً لتلك القيم، فجمع الله عز وجل تلك الممارسات في سورة الفرقان من آية ٦٣-٧٦، والتي مثلت سلوكيات المسلمين أينما كانوا ومنها أنهم يقتصدون في المشي، فيمشون بسكينة ووقار من غير تجبر ولا تكبر. "وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا" (الفرقان: ٦٣) وأنهم لا يجهلون مع أهل الجهل من السفهاء، ولا يخالطونهم في مجالسهم. "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا" (الفرقان: ٦٣) وأنهم يتعبدون لله عز وجل ليل نهار ابتغاء مرضاة الله. "وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا" (الفرقان: ٦٤) وأنهم مع عبادتهم لله عز وجل فإنهم يخشون العذاب، فلذلك تجدهم يدعون الله سبحانه أن يصرف عنهم العذاب، "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً " (الفرقان: ٦٥-٦٦).

وأنهم وسط بين المسرفين المبذرين وبين البخلاء المقترين، فهم ينفقون لكن باعتدال "وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" (الفرقان: ٦٨)

وأنهم لا يتوجهون بالعبادة إلا إلى الله، ولا يضرب بعضهم رقاب بعض إلا بالحق، ولا ينتهكون أعراض الناس وحرماتهم، لأن اقتراف هذه الآثام كبيرة يؤدي إلى الخلود المهين في عذاب جهنم "وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهَّ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُّ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُّ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُّ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهَّ مَتَابًا" (الفرقان:٦٩:٧١) وأنهم لا يساعدون أهل الباطل فيشهدون لهم زوراً وكذبا "وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّور" (الفرقان: :٦٩:٧١) وأنهم يحافظون على أوقاتهم ولا يفنونها في اللهو واللغو "وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا" (الفرقان :٧٢) وأنهم إذا وُعظوا وذُكّروا بالله وآياته خشعوا واستجابوا "وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا" (الفرقان:٧٣) وأنهم يسألون الله عز وجل من فضله أن يرزقهم الزوجات الصالحات والذرية الطيبة وأن يكونوا أئمة في الهدى "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (الفرقان:٧٤) فإذا اتصفوا بهذه الصفات الحسنة وتحلوا بها، فإن جزاءهم الموعود هو الجنة "أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا" (الفرقان :٧٥: ٧٦) إن هذه القيم الاجتماعية الجامعة ترسم صورة شاملة وعملية لأخلاقيات ومعاملات الفرد المسلم في مجتمعه، فتوجه تلك القيم الإنسان المسلم وتضع محددات لعلاقته مع ربه وعلاقته مع الآخرين وتضع له معايير لتلك الأخلاق وآلية تطبيقها في واقع الحياة والتي جمعت في سورة واحدة تعد كافية كمنهج أخلاقي تربوي يمكن من خلاله أن يشكل المعلم وجدان طلابه ويهيئهم ليصبحوا نواة لمجتمع إسلامي قوي، ويصبحوا أكثر قدرة على مواجهة متغيرات العصر الحديث.

كما حدد القرآن قيمة اجتماعية هامة توضح علاقة الأمة الإسلامية بسائر الأمم وهي العلاقة الوسطية، فالوسطية إحدى الخصائص العامَّة للإسلام، وهي إحدى المعالم الأساسية التي ميَّز الله بها أمته عن غيرها: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (البقرة: ١٤٣) فهي أمة العدل والاعتدال، التي تشهد في الدنيا والآخرة على تجنب كل انحراف يمينًا أو شمالاً عن خط الوسط المستقيم.(٩)

كما حدد النص القرآني قيمة اجتماعية هامة حين ربط خيرية الأمة الإسلامية بمدى نفعها لغيرها من الأمم، وهذا ما توضحه الآية الكريمة حيث قال تعالى "كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ " (ال عمران:١١٠)

وقد بيَّن الفخر الرازي كون وصف الأمَّة هنا بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإيمان علّة لكونها خير أمَّة أُخرجت للنّاس، فقال:

"واعلم أنَّ هذا الكلام مستأنف والمقصود منه بيان علّة تلك الخيريَّة".

وتحقيق الكلام أنَّه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونًا بالوصف المناسب له يدلّ على كون ذلك الحكم معلّلا بذلك الوصف. فهنا حكم – تعالى – بثبوت وصف الخيريَّة لهذه الأمَّة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطّاعات، أعني الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيريَّة معلّلة بهذه العبادات. (١٠)

(٩) القرضاوي. يوسف، (١٤٠٢هـ) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الدوحة الحديثة، ص٢٤

(١٠) رضا. محمد رشيد بن علي (١٩٩٠م)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٤، ص٦٠.

٢) دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني.

عرف التسامح في لغة العرب بأنه "السماح والسماحة الجود. سمح به يسمح بالفتح فيها سماحاً وسماحة: أي جاد وسمح له أي أعطاه والمسامحة المساهلة وتسامحوا تساهلوا. والإسماح لغة في السماح يقال سمح أسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء".[١١]

كذلك عرفت السماحة في «الصِّحاح»: «السَّماحُ والسَّماحَةُ: الجود، وسَمَحَ به: أي جاء به، وسَمَحَ لي: أعطاني، وما كان سَمْحًا..، والمُسامحةُ: المُساهلة، وتسامحوا: تساهلوا. [١٢]

والنص القرآني غني بصور التسامح والإخاء الإنساني ، حيث اعتبر البشرية كلها أسرة واحدة خرجت من نفس واحدة تربطها رابطة القرابة حيث قال تعالي:"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" (النساء:٧) ، وتأتي لفظة الأرحام في هذا السياق مؤكدة على تلك القرابة فيما بين بني البشر وهو أمر باعث على التعامل مع كافة أجناس البشر من منطلق أن هناك رابطة أصيلة فيما بينهم منذ بدء الخليقة وهو أمر باعث على إعادة النظر في طريقة تعامل المجتمعات مع بعضها البعض وهو ما أوضحه النص القرآني في سورة الحجرات حيث قال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الحجرات:٧)

فالآية دالة على أن النص القرآني يوجه المجتمع المسلم إلى التعارف على المجتمعات الأخرى حيث يشمل ذلك التعارف قدر واسعاً من التعامل المعتدل المتسامح في إطار من الود،

(١١) "لسان العرب" (٤٨٩/٢)، دار الفكر.

(١٢) "الصحاح" (٣٧٦/١)، دار الفكر.

وضماناً لتفعيل مبدأ التسامح فقد أقر النص القرآني بما للشعوب من خصائص متعددة ،فهناك التعددية العرقية:" وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (الحجرات: ١٣)، وهناك التعددية اللغوية: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ" (الروم: ٢٢) وهناك التعددية الدينية: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" (هود:١١٨،١١٧).

وهذه التعددية العرقية والتعددية اللغوية ليست باعثاً بأي حال من الأحوال على إثارة العنصرية أو التحيز بل لابد وأن يتم التعامل معها على أنها سنة كونية، وأن الله عز وجل حين جعل هذه التعددية من سمات الناس لم يكن للتمييز بل لاختلاف توجهات الناس في اعمار الأرض وما ينتج عنه من ثراء في نواتج الاجتهادات المختلفة للبشر في شتى مجالات الحياة.

ولم تقتصر السنة الكونية على التعددية في العرق أو اللغة بل أوضح القرآن أن الاختلاف الديني واقع بمشيئة الله عز وجل كما في قوله تعالى:" وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (يونس: ٩٩) وقال تعالى: "وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ" (الانعام: ٣٥) ولو شاء ربنا أن يجعل كل الناس مؤمنين مهديين مطيعين له، لجعلهم على صورة أخرى، كما خلق الملائكة مفطوريين على طاعته وعبادته" يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ" (الأنبياء: ٢٠) "لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (التحريم: ٦).

ووفقاً للمنهج القرآني فلم تترك تلك القيم الاجتماعية دون تفعيل فقد وجه القرآن المسلمين إلى البر والقسط للمسالمين من غير المسلمين فقد قال تعالى:"لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا

يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ " (الممتحنة:٨، ٩).

فانطلاقاً من مبدأ التسامح المطلق مع كل من تسامح مع الأمة الإسلامية أعطى القرآن لأفرادها وحكوماتها الحق في التعامل مع كل مجتمع مسالم أفراداً وجماعات بل وأمر أفراد المجتمع الإسلامي بالتعامل العادل فيما بينهم وبين المجتمعات غير المسلمة.

ولم يقف حد التسامح مع الشعوب والأمم المتسامحة فقط بل امتد ليشمل حتى من أظهروا العداوة للمجتمع الإسلامي حيث أظهر النص القرآني الأمل في أن تتبدل تلك العداوة والبغضاء إلى مودة ومحبة حيث قال تعالى:"عَسَى اللهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (الممتحنة: ٧).

وعطفاً على ما سبق فدلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني واضحة جلية تحس على التعاون مع المجتمعات الأخرى مهما كانت ديانتها أو توجهاتها ما دامت لم تتعرض للمجتمع الإسلامي بشر أو عداوة، وحتى في حالة حدوث العداوة فيؤمل أن تتبدل مستقبلاً مودة وحباً.

٣) دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر.

ويقصد بالآخر كل شخص على غير دين الإسلام وكل مجتمع من غير المجتمعات المسلمة، حيث يتعامل النص القرآني مع الإنسان بشكل مطلق انطلاقا من إنسانيته أولاً دون التحيز لعرقه أو للغته أو لجنسيته أو لدينه حيث يقرر النص القرآني بتكريم بني البشر جميعاً من قبل خالقهم لكونهم بشر ينتمون إلى جنس الإنسان عامة.

فالنص القرآني يوضح أن تكريم الإنسان تم لإنسانيته وحدها حيث قال تعالى"وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً" (الأسراء:٧٠).

وقد أكد النص القرآني في أكثر من موضع على اعترافه ببني الإنسان جميعاً واهتمامه بتوضيح علاقتهم بخالقهم حيث قال تعالى "لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (التين:٧). وقال سبحانه:"الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" (الرحمن:١-٤). وقال أيضاً: "اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق:٣-٥) كما حدد النص القرآني وظيفة الإنسان على الأرض وكونه خليفة الله عليها حيث قال جل شأنه: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" (البقرة:٣٠).

ويتضح من ذلك مدى احترام النص القرآني لإنسانية البشر وهو الأمر الداعي إلى التعامل معهم، من منطلق احترام تلك الإنسانية بما يتناسب مع التكريم الإلهي تأكيداً على مبادئ التسامح مع الإنسانية جمعاء.

وعلاقة المسلم مع غيره من غير المسلمين حددها النص القرآني في أطر تطبيقية حيث أوضح أن دعوة المسلم لغير المسلم لابد وأن تكون في أجواء من التسامح من خلال الحوار البناء والجدل بالتي هي أحسن، حيث قال تعالى "ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ " (النحل: ١٢٥)

وطلب الجدال والحوار بالتي هي أحسن جاء انطلاقاً من كون معرفة الله عز وجل بتكوين الإنسان وما يحتاجه من لين وتسامح في دعوته إلى الإيمان بالله الأمر الذي قد يؤثر فيه مستقبلاً لتغيير وجهته أو موقفه إلى جادة الصواب.

ولم يقتصر التوجيه القرآني للمسلم في حال دعوة الآخر فقط بل أيضاً في حال الاختلاف مع الأخر حيث وجه النص القرآني المسلم إلى الجدل بالتي هي أحسن بل وأكثر من ذلك الاعتراف

للآخر بما لديه من رأى صحيح متوافق مع عقيدة الإسلام؛ حيث قال تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " (العنكبوت: ٤٦)

ومن التطبيقات أيضاً لمبدأ التسامح الذي وجه إليها النص القرآني للتعامل مع الآخر التوجيه إلى أن حساب المختلفين سيكون يوم القيامة حيث يقول تعالى:"وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" (الحج: ٦٨، ٦٩)

كما يؤكد النص القرآني ذلك المبدأ في قوله تعالي: "فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ" (الشورى: ١٥)

ويؤكده أيضاً في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (الحج: ١٧)

ويصل تفعيل النص القرآني لمبدأ التسامح مع الآخر حين يوجه المسلم أن يحسن لمن حاربه وهو في الآسر وقد يكون هذا الأسير قاتلاً لأقربائه أو لأصحابه في الحرب حيث يجعل ذلك من صفات عباد الله المؤمنين حيث يقول تعالي: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً" (الإنسان: ٨)

ويمكن القول أن النص القرآني اعتنى بعلاقة المسلم مع الأخر وأظهر العديد من الدلالات على أهمية مبدأ التسامح في التعامل مع غير المسلم، كما أوضح أن هذا المبدأ لا يتجزأ سواء كان في الحوار أو الاختلاف والجدل وسواء كان في الحرب أو السلم.

أهم الاستنتاجات:

من خلال ما تم استعراضه من نماذج قيم الإخاء الإنساني في النص القرآني، وكذلك دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر، يمكن أن نخلص لما يلي:

١) يحتوي النص القرآني على قيم الاجتماع والإخاء الإنساني التي ترسم صورة شاملة وعملية لأخلاقيات ومعاملات الفرد المسلم في مجتمعه ومع الآخرين.

٢) الوسطية كقيمة اجتماعية هي إحدى القيم العالمية للإسلام.

٣) خيرية الأمة الإسلامية تتوقف على مدى نفعها لغيرها من الأمم.

٤) من دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني اعتبار البشرية كلها أسرة واحدة خرجت من نفس واحدة تربطها رابطة القرابة.

٥) من دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني الحث على التعارف مع الشعوب والأمم الأخرى، حيث يشمل ذلك التعارف قدر واسعاً من التعامل المعتدل المتسامح في إطار من الود

٦) من دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني اعترافه بالتعددية العرقية والتعددية اللغوية والتعددية الدينية والتأكيد على أنها سنة من سنن الله في الخلق.

٧) من دلائل التسامح المجتمعي في النص القرآني الأمل في أن تتبدل العداوة والبغضاء مع الأمم المعتدية إلى مودة ومحبة مستقبلية.

٨) من دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر تعامل النص القرآني مع الإنسان بشكل مطلق انطلاقا من إنسانيته أولاً دون التحيز لعرقه أو للغته أو لجنسيته أو لدينه.

٩) من دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر احترام النص القرآني لإنسانية البشر وهو الأمر الداعي إلى التعامل معهم من منطلق احترام تلك الإنسانية بما يتناسب مع التكريم الإلهي لهم.

١٠) من دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر أن تتم دعوة غير المسلم للإسلام في أجواء من التسامح من خلال الحوار البناء والجدل بالتي هي أحسن.

١١) من دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر أنه في الاختلاف معه يتم الجدل بالتي هي أحسن بل وأكثر من ذلك الاعتراف للآخر بما لديه من رأى صحيح متوافق مع عقيدة الإسلام.

١٢) من دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر التوجيه إلى أن حساب المختلفين سيكون يوم القيامة.

١٣) من دلائل التسامح في النص القرآني مع الآخر توجيه المسلم أن يحسن لمن حاربه وهو في الآسر وقد يكون هذا الأسير قاتلاً لأقربائه أو لأصحابه في الحرب.

التوصيات:

عطفاً على ما تم استعراضه من استنتاجات للبحث الحالي، يمكن أن نخلص إلى عدد من التوصيات تتمثل في الآتي:

١) تفعيل توجيهات النص القرآني فيما يخص قيم الإخاء الإنساني من قبل المؤسسات التربوية.

٢) تفعيل علاقة المجتمع الإسلامي بالمجتمعات الأخرى وفقاً لمبدأ التسامح في النص القرآني.

٣) تفعيل علاقة المسلم مع الآخر وفقاً لمبدأ التسامح في النص القرآني.

٤) طرح المفاهيم الإسلامية الصحيحة فيما يخص العلاقة بغير المسلمين من خلال وسائل الإعلام المختلفة والمواقع الإلكترونية، وكتب المناهج المدرسية.

٥) الارتقاء بلغة الخطاب الديني بما يتوافق مع قواعد الدين الحنيف الداعي إلى الرحمة والمودة.

٦) تنمية وعي الدعاة ولفت نظرهم إلى أن غاية رسالتهم هي التبليغ فقط وأن الهداية من قبل الله عز وجل.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

المراجع العربية:

١. آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز، (١٩٧٧م)، المعجم الوسيط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.
٢. الأنصاري، فريد، (١٩٩٧م) أبجدية البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.
٣. البهنساوي، سالم، (٢٠١٢م)، قواعد التعامل مع غير المسلمين، دار الوفاء، المنصورة، مصر.
٤. الجلاد، ماجد، (٢٠٠٧م) تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة للطبع والنشر، عمان.
٥. الرازي، زين الدين، (١٩٨٦م)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون.
٦. الرازي. حمد بن أبي بكر بن عبد القادر (١٩٩٥م)، الصحاح، دار الفكر.
٧. رضا. محمد رشيد بن علي، (١٩٩٠م) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٨. الزرقاني، محمد عبد العظيم، (١٩٩٦م)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى.
٩. شريعتي. روح الله، (٢٠١٧م)، فقه التعايش مع غير المسلمين حقوقهم وواجباتهم، فريق مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت.
١٠. طباسي، طلال، (٢٠٠٦م) إثراء كتاب المطالعة والنصوص للصف التاسع الأساسي بفلسطين بالقيم الدينية الواردة في سورة يوسف عليه السلام، رسالة ماجستير، الجامع الإسلامية، غزة.
١١. العادلي. فاروق محمد، (١٩٨٥م) دراسات في الضبط الاجتماعي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة.
١٢. القرضاوي. يوسف، (١٤٠٢ه) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، الدوحة الحديثة.
١٣. المصري. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي (١٩٩٠م)، لسان العرب، دار الفكر.